حياته (علي كنز)

ولد الكنز سنة 1946 في مدينة سكيكدة بدأ حياته الأكاديمية في الفلسفة ليتحوّل في منتصف السبعينيات إلى علم الاجتماع ، ابن العائلة الشعبية المتواضعة – الأب كان عاملا بسيطا في شركة النقل بالسكك الحديد – التي منحت للجزائر رياضيين مشهورين، كان من بينهم علي نفسه، الذي حطم رقما قياسيا وطنيا، في العدو الريفي، عكس الأخوين الأكبر سنا اللذين التحقا بصفوف الثورة في هذه المدينة، التي تميزت بدورها الريادي في الحركة الوطنية وثورة التحرير.
تأثير العلاقة مع مهدي عامل، سيبقى حاضرا لدى علي الكنز، الباحث والأستاذ الجامعي، وهو ينطلق في مشواره المهني كأستاذ فلسفة في ثانوية الأمير عبد القادر بالجزائر العاصمة، نهاية الستينيات، قبل الانتقال صوب قسم الفلسفة في جامعة الجزائر لمدة قصيرة للعمل كمعيد، القسم الذي غادره الكنز بسرعة، من دون أن يقطع صلاته بالفلسفة التي متّن علاقاته بها أكثر، للاستقرار في قسم علم الاجتماع في جامعة الجزائر نفسها، بعد مرور سريع على قسم العلوم السياسية.
اختيار علي الكنز الاستقرار مدرسا بقسم علم الاجتماع لم يكن اعتباطيا، فقد كان من بين الأقسام الجامعية الأكثر حيوية كوسط طلابي، استمر التدريس فيه بلغتين -الفرنسية والعربية – لغاية منتصف الثمانينيات، تاريخ التعريب الكلي له، سياسة لغوية وانفتاحا فكريا لطلبة القسم، سمحت لأستاذ علم الاجتماع علي الكنز بالتدرب بسهولة أكبر على اللغة العربية، التي قرر أن يقضي سنة كاملة لتعلمها في القاهرة عام 1972، زيارة سمحت لهذا الأستاذ الجزائري المفرنس، بالتعرف على الحياة الثقافية والفنية في عاصمة ، التي بقي على اتصال بها وبوجوهها الفكرية والثقافية لآخر أيامه.
لم يكتف الأستاذ الشاب علي الكنز بالتدريس، كما كان يفعل الكثير من الذين انتسبوا إلى الجامعة وهي تتوسع وتفتح أبوابها أكثر لأبناء الفئات الشعبية في عز التجربة البومدينية، فقد قرر أن يتوجه نحو البحث السوسيولوجي الذي تحول لديه إلى أولوية قصوى، تأثر ربما بقناعاته السياسية والفكرية التي تلونت بالفكر السياسي الماوي، الذي كان ينادي بالتواصل مع «الميدان» و»التقرب من الجماهير» قناعة عبّرت عن نفسها، بممارسة سياسية قصيرة وغير منتظمة، قربته من حزب الثورة الاشتراكية – محمد بوضياف.

علي الكنز الباحث الماركسي يعيد قراءة التجربة البومدينية، ويكتشف خباياها الداخلية وصراعاتها

البحث السوسيولوجي هو الذي سيُعرف به الأستاذ الكنز بين الجزائريين وفي العالم، بعد أن أنجز بحوثا غير مسبوقة حول مركب الحجار الصناعي الذي سيناقش جزءا منه كأطروحة دكتوراه دولة بجامعة فرنسية، صدرت على شكل كتاب في فرنسا 1987، تحت عنوان «التجربة الصناعية الجزائرية» الذي كان يشهد محاولات جدّية لتأصيله عربياً، ورغم أن الكنز كان يكتب بالفرنسية أساساً، فقد ساهم في هذه الجهود من خلال المواضيع التي تناولها، وكانت تدور حول فهم تحوّلات المجتمع الجزائري.

عرف الكنز بعض التضييقات في مسيرته - ضمن الجو العام الذي كانت تعرفه الجزائر زمن حكم هواري بومدين وبعض السنوات اللاحقة - حتى أن كتابه الأول، "الاقتصاد الجزائري" (1980)، نشره خارج الجزائر باسم مستعار هو الطّاهر بن حوريّة. وإضافة إلى المواقع الأكاديمية التي شغلها، فقد أدار "مركز البحث في الاقتصاد التطبيقي من أجل التنمية" بالجزائر العاصمة.

على مستوى أبعد من الجزائر، درّس الكنز في تونس وكان له دور بارز في تخريج جيل من الباحثين في علم الاجتماع، كما كانت له مساهمات تأسيسية مع "الجمعية العربية لعلم الاجتماع"، واشتغل لفترة في "مجلس التنمية والبحث في العلوم الاجتماعية بأفريقيا". ومنذ منتصف التسعينيات قرّر الاستقرار في فرنسا مدرّساً في جامعاتها، وكان أحد أبرز المتخصّصين في تطبيقات نظريات علم الاجتماع بالعالم العربي. ففي فاتح نوفمبر 2020 توفي الكاتب وعالم الاجتماع الجزائري الأستاذ علي الكنز بمدينة نانت بغرب فرنسا عن عمر ناهز 74 سنة.

مؤلفاته

من أبرز أعمال الراحل: "الجزائر والحداثة" (1989)، و"الصدفة والتاريخ" (1990)، و"خلال الأزمة" (1993)، و"كتابة المهجر" (2009). كما شارك في وضع كتب جماعية منها: "الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر"، و"العلاقات العربية الأوروبي"، و"غرامشي في العالم العربي.